

فصل

ذكر هديه ﷺ في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم

ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه كتب إلى هرقل: «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية^(١) الإسلام، أَسْلِمَ تَسْلَمَ، يُؤْتِكَ الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا، وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»^(٢).

وكتب إلى كسرى: «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله، ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية^(٣) الله، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، أَسْلِمَ تَسْلَمَ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس»، فلما قرئ الكتاب عليه مَرْقَ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مَرْقَ الله مُلْكُهُ»^(٤).

وكتب إلى النجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، [أسلم أنت]^(٥)، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو،

(١) فى ق: «بداعية»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٢) البخارى فى الجهاد (٢٩٤١)، ومسلم فى الجهاد والسير (١٧٧٣ / ٧٤). والأريسيون: الفلاحون يزرعون الأرض فى مملكته، أو المراد: الضعفاء والأتباع.

(٣) فى ق: «بداعية»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٤) البخارى فى المغازى (٤٤٢٤)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ١٩٩).

(٥) ليست فى ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

الملك القدوس السلام المؤمن المهيم، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فيأني رسول الله، وإنى أدعوك، وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت، ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى.

وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فقال ابن إسحاق: إن عمرا قال له: يا أضحمة، إن على القول عليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا، وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا لننا، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناء، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجوز، وفي ذلك موقع الحر وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمل كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف^(١) وأجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمل الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفي من الخبر ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أضحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله، ورحمة الله، وبركات^(٢) الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى، فو رب السماء والأرض، إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا،

(١) في خ: «لخير ما سلف»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) في ق، هـ: «بركات»، وما أثبتناه من خ، ك.

وقد قربنا ابن عمك، وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه الله رب العالمين .

والشقوق : علاقة ما بين النواة والقشر .

وتوفي النجاشي سنة تسع، وأخبر رسول الله ﷺ بموته ذلك اليوم، فخرج بالناس إلى المصلى فصلى عليه، وكبر أربعاً .

قلت : وهذا وهم - والله أعلم - وقد خلط راويه، ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه، وهو الذي آمن به، وأكرم أصحابه، وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه، فهما اثنان، وقد جاء ذلك مبيناً في صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي، وليس بالذي صلى عليه ^(١) .

فصل

وكتب إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية ^(٢) الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط» ﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران] .

وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة، فلما دخل عليه قال له : إنه كان قبلك رجل

(١) مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٤ / ٧٥) .

(٢) في ق: «بدعاية»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بغيرك بك .

فقال : إن لنا دينًا لن ندعه إلا لما هو خير منه، فقال حاطب : ندعوك إلى دين الله، وهو الإسلام الكافي به الله فَقَدْ ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود^(١)، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : إنني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية^(٢) النبوة بإخراج الحُبِّء^(٣)، والإخبار بالنَّجوى، وسأنظر . وأخذ كتاب النبي ﷺ، فجعله في حُقٍّ من عَاجٍ، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له .

ثم دعا كاتبًا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد : فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك .

ولم يزد على هذا، ولم يسلم، والجاريتان : مارية وسيرين، والبغلة : دُلْدُل، بقيت إلى زمن معاوية^(٤) .

(١) في خ : «اليهود»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) في ق : «آلة»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٣) يقصد بالحُبِّء : أخباره ﷺ بالمغيبات التي أطلعه الله عليها .

(٤) نصب الراية للزيلي (٤ / ٤٢١، ٤٢٢) .

فصل

وكتب إلى المنذر بن ساوى : فذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة، قال : وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته، فإذا فيه : بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وكتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام .

فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ : أما بعد : يا رسول الله، فإنني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدثتني في ذلك أمر .

فكتب إليه رسول الله ﷺ : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله، إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد : فإنني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنها ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسله، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن نصح لهم، فقد نصح لي، وإن رسله قد أثنوا عليك خيرا، وإنني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح، فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية، أو مجوسية فعليه الجزية»^(١).

فصل

وكتب إلى ملك عمان كتابا وبعثه مع عمرو بن العاص :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى جَيْفَرٍ، وَعَبْدِ ابْنِي

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٠٢)، ونصب الراية (٤ / ٤٢٠).

الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد : فإنني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تُقرّا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلٌ تحلُّ بساحتكما، وتظهر نبوتى على ملككما» وكتب أبى ابن كعب، وختم الكتاب .

قال عمرو : فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين، وأسهلها خلقا، فقلت : إنى رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك، وإلى أخيك، فقال : أخى المقدم على بالسن، والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال : وما تدعو إليه؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتحلحع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال : يا عمرو، إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك، فإن لنا فيه قدوة؟ قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، ووددت أنه كان أسلم، وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه، حتى هدانى الله للإسلام .

قال : فمتى تبعته؟ قلت : قريبا، فسألنى أين كان إسلامك؟ قلت : عند النجاشى، وأخبرته أن النجاشى قد أسلم، قال : فكيف صنع قومه بملكه؟ فقلت : أقروه، واتبعوه، قال : والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت : نعم، قال : انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له من كذب، قلت : ما كذبتُ، وما نستحله في ديننا، ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى، قلت : بلى، قال : بأى شيء علمت ذلك؟ قلت : كان النجاشى يُخرج له خرجا، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال : لا والله لو سألنى درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له يثاق أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين ديننا محدثا؟

قال هرقل : رجل رغب في دين فاختره لنفسه، ما أصنع به، والله لولا الضنُّ بملكى لصنعت كما صنع، قال : انظر ما تقول يا عمرو، قلت : والله صدقتك، قال

عبد : فأخبرني ما الذي يأمر به، وينهى عنه؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم، والعدوان، وعن الزنى وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر، والوثن، والصليب، قال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخى يتابعنى عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخى أضنّ بملكه من أن يدعه، ويصير ذنباً، قلت : إنه إن أسلم مَلَكَه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم، فردها على فقيرهم .

قال : إن هذا لخلق حسن؟ وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الإبل، قال : يا عمرو، وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر، وترد المياه؟ فقلت : نعم، فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون بهذا، قال : فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى .

ثم إنه دعانى يوماً فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بِضَبُعَى، فقال : دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس^(١)، فنظرت إليه، فقال : تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففرض خاتمه [وقراً]^(٢) حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أنى رأيت أخاه أرق منه، قال : ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت؟ فقلت : تبعوه، إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف، قال : ومن معه؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقى غيرك في هذه الحَرْجَةِ^(٣) وأنت إن لم تُسَلِّم اليوم، وتبعه، يوطئك الخيل، ويبيد خَضْرَاءَكَ فَأُسَلِّمَ تَسَلِّمَ، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل، والرجال .

(١) في خ : «لأجلس»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٣) الحَرْجَةُ : مجتمع الشجر .

قال : دعنى يومى هذا، وارجع إلى غدا، فرجعت إلى أخيه، فقال : يا عمرو، إنى لأرجو أن يسلم إن لم يَضُنَّ بملكه، حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لى، فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنى لم أصل إليه، فأوصلنى إليه، فقال : إنى فكرت فيما دعوتنى إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى، وهو لا تبلغ خيله هاهنا، وإن بلغت خيله أُلْفَتْ قتالا ليس كقتال من لاقى، قلت : وأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه، فقال : ما نحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح، فأرسل إلى، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا النبى ﷺ وخليا بينى وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لى عوننا على من خالفنى^(١).

فصل

وكتب النبى ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن على : وأرسل به مع سَليط بن عمرو العامرى : «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هَوُذَةَ بن على، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والخافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك» .

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوما، أنزله وحياه، واقرأ عليه الكتاب، فرددا دون رد، وكتب إلى النبى ﷺ ما أحسن ما تدعو إليه، وأجمله والعرب تهاب مكاني، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطا بجائزة، وكساه أثوابا من نسج هَجَر .

فقدم بذلك كله على النبى ﷺ، فأخبره، وقرأ النبى ﷺ كتابه، فقال : «لو سألتنى

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٠١)، ونصب الراية للزبيلى (٤ / ٤٢٣) .

سَيَّابَةً^(١) من الأرض ما فعلت، باد، وباد ما في يديه، فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هودّة قد مات، فقال النبي ﷺ: «أما إن اليهامة سيخرج بها كذاب يتنبأ، يُقْتَلُ بَعْدِي»، فقال قائل: يا رسول الله، من يقتله؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أنت وصاحبك»، فكان كذلك.

وذكر الواقدي: أن أركون دمشق، عظيم من عظماء النصاري، كان عند هودّة، فسأله عن النبي ﷺ فقال: جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام، فلم أجبه، قال الأركون: لم لا تحجبه؟ قال: ضننت بديني، وأنا ملك قومي، وإن تبعته لم أملك، قال: بلى، والله إن اتبعته ليملكنك، فإن الخيرة لك في اتباعه، وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل: محمد رسول الله^(٢).

فصل

في كتابه إلى الحارث بن أبي شمّر الغساني

وكان بدمشق بَعُوطُطُهَا، فكتب إليه كتابا مع شجاع بن وهب، مَرَجَعَهُ من الحُدَيْيَّة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمّر: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإنني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك، وقد تقدم ذلك^(٤).

(١) السَّيَّابَةُ: التمرة، وقيل: البُسْر الأخضر.

(٢) في خ: «رسول الله»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) نصب الراية للزيلعي (٤/ ٤٢٥).

(٤) نصب الراية للزيلعي (٤/ ٤٢٤).

وفي خ: «آخر الجزء الأول من هدى النبي ﷺ ويتلوه في الجزء الثاني فصل: قد أتينا على جملة من هديه ﷺ في المغازي والسير والبعوث والسرائيا والرسل والكتب، علّقه لنفسه فقير رحمه ربه محمود بن علي بن عبد الله بن محمد الهندي، غفر له ولوالديه ولمن قرأه».